

عقوبات الذنوب

إعداد :

الشيخ أحمد جلال

دورة جدد إيمانك

المنعقدة بمسجد الصفطاوى بالمنصورة

خلال الفترة من 17 حتى 26-11-2013

أولاً: الحذر من العقوبة:

سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ يَقُولُ: "خَمْسُ مَصَائِبَ فِي الذَّنْبِ أَكْبَرُ مِنْ الذَّنْبِ: أَوَّلُهُ خِدْلَانُ اللَّهِ عَبْدَهُ حَتَّى عَصَاهُ، وَلَوْ عَصَمَهُ مَا عَصَاهُ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ سَلَبَهُ حِلْيَةً أَوْ لِيَاثِيَهُ، وَكَسَاهُ لِبَاسَ أَعْدَائِهِ، وَالثَّلَاثَةُ أَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ رَحْمَتِهِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ عُقُوبَتِهِ، وَالرَّابِعَةُ نَظَرُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَعْصِيهِ، وَالْخَامِسَةُ وَقُوفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْزِضُ عَلَيْهِ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ مِنْ قَبَائِحِهِ، فَهَؤُلَاءِ الْمَصَائِبُ الْخَمْسُ فِي الذَّنْبِ أَكْبَرُ مِنَ الذَّنْبِ"

يحيى بن معاذ يقول: لست أمركم بترك الدنيا، أمركم بترك الذنوب ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات والفضائل.

عن أبي مسلم الخولاني، أنه كان إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، وانقطعت الشهوة، وبقيت الخطيئة، ابن آدم! ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

قال: مالك بن دينارٍ، يَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُقُوبَاتٍ، فَتَعَاهَدُوهُنَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، وَضَنْكٍ فِي الْمَعِيشَةِ، وَوَهْنٍ فِي الْعِبَادَةِ، وَسَخَطٍ فِي الرِّزْقِ»

ثانياً: عقوبات الذنوب:

(١) غضب الله عليك:

فُضِيلَ بَنَ عِيَاضٍ، يَقُولُ: «مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ، بَارَزْتَ اللَّهَ بِعَمَلٍ مَقْتَكِ عَلَيْهِ فَأَغْلَقَ دُونَكَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ، كَيْفَ تَرَى يَكُونُ حَالُكَ؟» الْحَسَنُ، يَقُولُ: «وَمَا يُدْرِيكَ يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلَّكَ قَدْ عَمِلْتَ عَمَلًا مُقْتٍ فِيهِ فَأَنْتَ تَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَعْمَلٍ»

(٢) وهن البدن وظلمة القلب:

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَيَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَتَكُونُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ، وَوَهْنًا فِي بَدَنِهِ»

(٣) نزع الستر:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَى عُمَرُ بِشَابٍ قَدْ سَرَقَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ قَبْلَهَا قَطُّ: فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِمَ عَبْدًا عِنْدَ أَوَّلِ ذَنْبٍ.

قال يحيى بن معاذ: من خان الله عزوجل في السر هتك سره في العلانية. وكان يقول: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه.

وقال بلال بن سعد لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية وعدوه في السر.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: "التَّاسُ يَعْْمَلُونَ أَعْمَالَهُمْ مِنْ تَحْتِ كَنْفِ اللَّهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ فَضِيحَةً أَخْرَجَهُ مِنْ تَحْتِ كَنْفِهِ، فَبَدَتْ مِنْهُ عَوْرَتُهُ"

(٤) الطرد من رحمة الله

كُهِ قِيلَ لِشَقِيقِ الْبَلْخِيِّ: مَا عَلَامَةُ الْعَبْدِ الْمُبَاعَدِ الْمَطْرُودِ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ قَدْ مُنِعَ الطَّاعَةَ، وَاسْتَوْحَشَ مِنْهَا قَلْبُهُ، وَحُلِيَ لَهُ الْمَعْصِيَةُ، وَاسْتَأْنَسَ بِهَا، وَخَفَّتْ عَلَيْهِ، وَرَغِبَ فِي الدُّنْيَا، وَرَهَدَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَشْغَلَهُ بَطْنُهُ وَفَرَجُهُ، لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ أَخَذَ الدُّنْيَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مُبَاعَدٌ

(٥) حرمان الطاعة

كُهِ وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَلَا صِيَامِ النَّهَارِ، فَاعْمَلْ أَنْكَ مَحْرُومٌ؛ قَدْ كَبَلْتِكَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ. وَكَانَ يَقُولُ: مَنَعَ الْبِرَّ النَّوْمَ، وَمَنْ خَافَ الْفَوَاتِ أَدْلَجَ. كُهِ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ! أَعْيَانِي قِيَامَ اللَّيْلِ، فَمَا أَطِيقُهُ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي! اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتَبَّ إِلَيْهِ، فَإِنَّهَا عَلَامَةٌ سَوْءٍ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَذْنِبَ الذَّنْبَ فَيَحْرِمَ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ. كُهِ وَقَالَ الثَّوْرِيُّ حَرَمْتَ قِيَامَ اللَّيْلِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ بَدَنُوكَ أَذْنَبْتَهُ قِيلَ وَمَا ذَاكَ الذَّنْبُ قَالَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَبْكِي فَقُلْتَ فِي نَفْسِي هَذَا مَرَاءً

كُهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ دَخَلْتُ عَلَى كُرْزِ بْنِ وَبْرَةَ وَهُوَ يَبْكِي فَقُلْتُ أَتَاكَ نَعِي بَعْضُ أَهْلِكَ فَقَالَ أَشَدُّ فَقُلْتُ وَجَعٌ يُوَلِّمُكَ قَالَ أَشَدُّ قُلْتُ فَمَا ذَاكَ قَالَ بَابِي مَغْلُوقٌ وَسَتْرِي مَسْبُوبٌ وَلَمْ أَقْرَأْ حَزْبِي الْبَارِحَةَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذَنْبٍ أَحْدَثْتَهُ وَهَذَا لِأَنَّ الْخَيْرَ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ وَالشَّرُّ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ وَالْقَلِيلُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَجْرِي إِلَى الْكَثِيرِ

كُهِ وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ لَا تَفُوتَ أَحَدًا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ إِلَّا بِذَنْبٍ كُهِ قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّي أَبَيْتُ مَعَاْفِي وَأَحْبَبْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ وَأَعَدْتُ طَهُورِي فَمَا بَالِي لَا أَقُومُ فَقَالَ ذَنْبُوكَ قَيْدَتِكَ

(٦) فقدان حلاوة الطاعة:

كُهِ قَالَ ذُو النَّوْنِ يَقُولُ سَقَمَ الْجَسَدُ فِي الْأَوْجَاعِ، وَسَقَمَ الْقُلُوبُ فِي الذُّنُوبِ، فَكَمَا لَا يَجِدُ الْجَسَدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ عِنْدَ سَقَمِهِ، كَذَلِكَ لَا يَجِدُ الْقَلْبُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ الذُّنُوبِ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: قِيلَ لَوْهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ: "لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ مَنْ يَعْصِي اللَّهَ؟"، قَالَ: لَا وَلَا مِنْ هَمِّ بِالْمَعْصِيَةِ "

كُهِ وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، يَقُولُ: «لَا يَجِدُ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ حَائِطًا مِنْ حَدِيدٍ»

كُهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ، يَقُولُ: «مَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ فَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى السَّعَادَةِ وَمَنْ السُّدَّةِ إِلَى الرَّخَاءِ وَمَنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى الضِّيَاءِ فَسَبِّتُمْ نِعْمَهُ عَلَيْكُمْ بِالْكَفْرَانِ وَمَرَّرْتُمْ بِالْخَطَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَوَهَنْتُمْ بِالذُّنُوبِ عُرَى الْإِيمَانِ وَهَدَمْتُمْ الطَّاعَةَ بِالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا تَمُرُّونَ بِمَرَاصِدِ الْأَفَاتِ وَتَمْضُونَ عَلَى جُسُورِ الْهَلَكَاتِ وَتَبْنُونَ عَلَى قَنَاطِرِ الرِّلَّاتِ وَتُحْصِنُونَ بِمَحَاصِنِ الشُّبُهَاتِ فَبِاللَّهِ تَعَاثُرُونَ وَعَلَيْهِ تَجَاثُرُونَ وَلَا تُنْفِسُكُمْ تَخَدَعُونَ وَلِلَّهِ لَا تُرَاقِبُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»

(٧) حرمان العلم :

عن حسين بن الفرج الوراق قال سئل سفيان بن عيينة هل يسلب العبد العلم بالذنب يصيبه قال ألم تسمع قوله {فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} وهو [ص:26] كتاب الله وهو أعظم العلم وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم واختصوا به وصار لهم حجة عليهم

(٨) حرمان الرزق :

عن الحسن ، أنه كان إذا نظر إلى السحاب قال فيه : والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بذنوبكم. عَنْ مُجَاهِدٍ ، {وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: 159] ، قَالَ: «ذَوَابُّ الْأَرْضِ، تَقُولُ إِنَّمَا مَنَعْنَا الْمَطَرَ بِذُنُوبِكُمْ»

(٩) حرمان إجابة الدعوة :

كان يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ: " لَا تَسْتَبِطِ الْإِجَابَةَ وَقَدْ سَدَدْتَ طُرُقَاتِهَا بِالذُّنُوبِ نحن نخشى الإله في كل كربٍ ... ثم ننسأه عند كشف الكروب كيف نرجو استجابةً لدعاءٍ ... قد سدنا طريقه بالذنوب

(١٠) مصائب الدنيا :

عن قتادة {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} قال : عقوبة بذنبك يا ابن آدم ، قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر.

عن ابن زيد في قوله {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} قال : بذنبك كما قال لأهل أحد (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها فقلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) (التوبة الآية 122) بذنوبكم.

(١١) تمكن الأعداء :

عن ابن عباس في قوله {أو لما أصابتكم مصيبة} الآية ، يقول : انكم قد أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد. عن الحسن ، وابن جريج {قل هو من عند أنفسكم} عقوبة لكم بمعصيتكم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال : لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم. وعن عكرمة قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله {قد أصبتم مثلها فقلتم أنى هذا} ونحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون {قل هو من عند أنفسكم} عقوبة لكم بمعصيتكم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال ما قال.

عن الحسن في الآية قال : لما رأوا من قتل منهم يوم أحد قالوا : من أين هذا ما كان للكفار أن يقتلوا منا فلما رأى الله ما قالوا من ذلك قال الله : هم بالأسرى الذين أخذتم يوم بدر فرددتم الله بذلك وعجل لهم عقوبة ذلك في الدنيا ليسلموا منها في الآخرة.

(١٢) هلاك القرى والأمم

﴿ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: "فَ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا، قَالَ: الْبَطْرُ: الْأَمْسْرُ، أَهْلِ الْغَفْلَةِ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ وَالرُّكُوبِ لِمَعَاصِي اللَّهِ، وَقَالَ: ذَلِكَ الْبَطْرُ فِي النَّعْمَةِ " قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: " فِي قَوْلِ اللَّهِ: وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، قَالَ: أَيَّامُهُ الَّتِي انْتَقَمَ فِيهَا مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ مِنَ الْأُمَّمِ، خَوْفُهُمْ بِهَا، وَحَذَرُهُمْ إِيَّاهَا، وَذَكَرَهُمْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، اجْتَنَبُوا الْمُعْصِيَةَ وَالْعُدْوَانَ فَإِنَّ بِهِمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ قَبْلَكُمْ مِنَ النَّاسِ "﴾

﴿ كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِقِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَأْخُذَهَا إِلَّا يَذُنُوبَ أَهْلِهَا " كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(١٣) الهم والغم :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَهُ الدَّيْنُ اعْتَمَّ لِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ هَذَا الْغَمَّ بِذَنْبٍ أَصَبْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»

(١٤) نسيان القرآن :

كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ مِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ لِلْقُرْآنِ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى خَتَمَ فَإِنْ أَسْقَطَ حَرْفًا قَالَ: بِذَنْبٍ مِنِّي وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ
عن الضحاك قال : ما تعلم أحد القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه ثم قرأ هذه الآية {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} وقال : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن.

(١٥) ظلم السلطان :

﴿ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتْ الْفَاجِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا، إِلَّا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْهَيْئُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَيْمَتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ "﴾

﴿ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا عَلَامَةُ غَضَبِكَ مِنْ رِضَاكَ؟ قَالَ: «إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَهُوَ عَلَامَةُ رِضَائِي، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَهُوَ عَلَامَةُ غَضَبِي عَلَيْكُمْ»﴾

﴿ عن الحسن - رضي الله عنه - قال : إن الحجاج عقوبة فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف ولكن استقبلوها بتوبة وتضرع واستكانة.﴾

﴿ وعن عبد الرحمن بن مهدي، قال: " كَتَبَ أَحُو مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ إِلَيْهِ يَشْكُو جَوْرَ الْعُمَالِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: يَا أَخِي، بَلَّغْنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرًا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَمَلَ بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يُنْكَرَ الْعُقُوبَةَ، وَمَا أَرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ سُؤْمِ الذُّنُوبِ "﴾

﴿ وعن مالك بن دينار - رضي الله عنه - قال: كلما أحدثتم ذنبا أحدث الله لكم من سلطانكم عقوبة.﴾

﴿ عَنْ أَبِي الْجَلِيدِ، قَالَ: " يُبْعَثُ عَلَى النَّاسِ مُلُوكٌ بِذُنُوبِهِمْ "﴾

﴿ وقال مالك بن مغول ، قال : " كان في زبور داود مكتوبا : إني أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فأيما قوم كانوا على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة ، وأيما قوم كانوا على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة ، لا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولا تتوبوا إليهم ، توبوا إلي أعطف قلوبهم عليكم﴾

(١٦) الوقوع في ذنب آخر :

﴿ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَى أَخَوَاتِهَا وَإِنَّ السَّيِّئَةَ تَدُلُّ عَلَى أَخَوَاتِهَا "﴾

﴿ وكان سهل بن عاصم يقول: " كَانَ يُقَالُ: عُقُوبَةُ الذَّنْبِ الذَّنْبُ "﴾

﴿ كان أبو الحسن المزني، يقول: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ عُقُوبَةُ الذَّنْبِ، وَالْحَسَنَةُ بَعْدَ الْحَسَنَةِ ثَوَابُ الْحَسَنَةِ "﴾

﴿ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا قَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ «لَيْسَتْ اللَّعْنَةُ سَوَادًا يُرَى فِي الْوَجْهِ، إِنَّمَا هِيَ إِلَّا تَخْرُجُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَقَعْتَ فِي ذَنْبٍ»﴾

(١٧) الران على القلب :

﴿ يقول الحسن، في قول الله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14] «تَدْرُونَ مَا الْإِرَانَةُ؟ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، وَالذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ». عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: الْقَلْبُ هَكَذَا مِثْلَ الْكَفِّ فَيَذَنبُ الذَّنْبَ فَيَنْقَبِضُ مِنْهُ ثُمَّ يَذَنبُ الذَّنْبَ فَيَنْقَبِضُ مِنْهُ حَتَّى يَخْتَمَ عَلَيْهِ فَيَسْمَعُ الْخَيْرَ فَلَا يَجِدُ لَهُ مَسَاغًا يَجْمَعُ فَإِذَا اجْتَمَعَ طَبَعُ عَلَيْهِ فَإِذَا سَمِعَ خَيْرًا دَخَلَ فِي أُذُنِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْقَلْبَ فَلَا يَجِدُ فِيهِ مَدْخَلًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، يَقُولُ: «مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ عَلَيْهِ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ» عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ {وَأَحَاطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ} قَالَ: الذنوب تحيط بالقلوب فكما عمل ذنبا ارتفعت حتى تغشى القلب

﴿ محارب بن دينار، يقول: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذَنِبُ الذَّنْبَ فَيَجِدُ لَهُ فِي قَلْبِهِ وَهْنًا "﴾

﴿ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ: " مَا جَمَعَتِ الدُّمُوعُ إِلَّا لِقَسَاوَةِ الْقُلُوبِ، وَمَا قَسَتِ الْقُلُوبُ إِلَّا لِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ، وَمَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ إِلَّا مِنْ كَثْرَةِ الْعُيُوبِ "﴾

(١٨) سوء الخاتمه :

عن مجاهد في قوله {وأحاطت به خطيئته} قال : الذنوب تحيط بالقلوب فكلما عمل ذنبا ارتفعت حتى تغشى القلب حتى يكون هكذا وقبض كفه ثم قال : والخطيئة كل ذنب وعد الله عليه النار.

عن الربيع بن خيثم في قوله {وأحاطت به خطيئته} قال : هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب.

عن الأعمش في قوله {وأحاطت به خطيئته} قال : مات بذنبه.

(١٩) استخفاف الناس بحقوقهم

قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: «مَا اسْتَخَفَّ قَوْمٌ بِحَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مَنْ يَسْتَخِفُّ بِحَقِّهِمْ»

(٢٠) خراب البيوت

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ: "فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْفَ أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ؟" قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: قُولُوا: "نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ"، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: "يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: "أَيُّ عَمَلٍ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعْصِيَةِ حَتَّى أَعْرَقَ أَعْمَالَهُ "

كتب رجل إلى بعض الأدباء يسأله أن يكتب إليه بشيء ينتفع به، فكتب إليه: أما لأخرتك فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه يقال له إرميا: وعزتي وجلالي، لو أن المعصية كانت في بيت من بيوت الجنة لأوصلت الخراب إلى ذلك البيت،

(٢١) الحرمان من اللذة الحلال

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «جَزَاءُ الْمُعْصِيَةِ الْوَهْنُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالضَّيْقُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالتَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ»، قِيلَ: وَمَا التَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ؟ قَالَ: «لَا يَنَالُ شَهْوَةً حَلَالًا إِلَّا جَاءَهُ مَا يُتَغَصَّبُ بِهَا»

(٢٢) تسلط الناس عليه وكرههم وإهانتهم له :

عَنِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ»

عَنْ خَطَّابِ الْعَابِدِ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَيَجِيءُ إِخْوَانَهُ فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ»

زَكَرِيَّا عَنْ عَامِرٍ قَالَ: كَتَبْتُ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَدَّ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ دَائِمًا.

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: لِيَحْذَرَ امْرُؤٌ أَنْ تَلْعَنَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مِمَّ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ فَيُلْقِي اللَّهُ بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

عَنْ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سَلِيمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لِيَذْنِبُ الذَّنْبَ فِي السَّرِّ، فَيَصْبِحُ وَعَلَيْهِ مِثْلُهُ"

كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِذَا أَحَبَّهُ، حَبَّبَهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَإِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بَغَّضَهُ إِلَى خَلْقِهِ

عَنْ قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ: "وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ، فَقُلْ: نِعْمَةٌ أُحْدِثَ ثَوَابُهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا، فَقُلْ: بِذَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ

عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: اسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدِ، وَأَسْمَعَهُ سُوءًا، فَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: اسْتَغْفِرَ اللَّهُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَمِلْتَ حَتَّى سَلَطْتَ عَلَيَّ.

(٢٣) أن يكِل الله العبد إلى نفسه ولا يعصمه من الزلل

عَنْ قَالَ ابْنُ السَّمَّانِ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَمَهَلَكُمْ حَتَّى كَانَتْهُ أَهْمَلَكُمْ». مِنْصُورَ بْنِ عَمَّارٍ، يَقُولُ: لَا تَرَى أَنَّكَ خَلَوْتَ بِخَطِيئَتِكَ، وَلَكِنْ خُلِيَ بِكَ فِيهَا

عَنْ وَقَالَ ذُو النُّونِ: مَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السِّرِّ هَتَكَ اللَّهَ سِرَّهُ فِي الْعَلَانِيَةِ.

عَنْ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزَّوْا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ، وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 18] ..

عَنْ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: "إِنَّمَا هَانُوا عَلَيْهِ فَتَرَكْتُمْ وَمَعَاصِيَهُ، وَلَوْ كَرُمُوا عَلَيْهِ مَنَعْتُمْ عَنْهَا" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ سُوءَ عَاقِبَتِهِ، وَمَا يَتَّبِعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ، قَلَّةُ حَيَاتِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ - وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ - أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ،

وَضَحْكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَكْتَ سِرَّ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ

عَنْ وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، يَا مُوسَى إِنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِي إِبْلِيسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا أَعَدُّ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْأَمْوَاتِ.

(٢٤) سوء الحساب :

عَنْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَا فَرَقْدُ " أَتَدْرِي مَا سُوءُ الْحِسَابِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ أَنْ يُحَاسِبَ الرَّجُلَ بِذَنْبِهِ كُفْلَهُ، لَا يُعْفَرُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ "

(٢٥) زوال النعم:

كـ عمر بن عبد العزيز قال: قيّدوا نعم الله بالشكر لله عز وجل شكر الله ترك المعصية
كـ عن محمد بن لوط الأنصاري قال: كان يُقال: الشكر ترك المعصية
كـ عن مخلد بن حسين قال: كان يُقال: الشكر ترك المعاصي
كـ عن الجنيد قال: قال السري يوماً: ما الشكر فقلت له: الشكر عندي أن لا يستعان على
المعاصي بشيء من نعمه

(٢٦) الأمراض:

كـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}
وسأفسرها لك يا علي ما أصابك من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله
أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد
عفوه

كـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه دخل عليه بعض أصحابه وكان قد ابْتُئِيَ في جسده
فقال انا لنبأس لك لما نرى فيك قال: فلا تبتئس لما ترى وهو بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا
{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}
كـ عن ابن أبي مليكة أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما - كانت تصدع فتضع
يدها على رأسها وتقول بذنبي وما يغفره الله أكثر
كـ وكان أبو سليمان، يقول: "إني لأمرض فأعرف الذنب الذي أمرض به،

(٢٧) الذل والهوان:

كـ وقال الفضيل: «أعزنا بعز الطاعة ولا تدلنا بذل المعصية»،
كـ الحسن، يقول: «أما والله لئن تدفقت بهم الهماليج ووطئت الرجال أعقابهم، إن ذل
المعاصي لفي قلوبهم ولقد أبى الله أن يعصيه عبداً إلا أدله»
كـ "سعيد بن المسيب، قال: «ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ولا أهانت
أنفسها بمثل معصية الله وكفى بالمومن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله»
وكان عامة دعاء إبراهيم: «اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك»
كـ وعن بعض التابعين، قال: " ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهان العباد
أنفسهم بمثل معصية الله، وحسبك من صديقك أن تراه مطيعاً، وحسبك من عدوك أن تراه
عاصياً "
كـ رأيت عمرو بن حريث على المنبر يوم عرفة، والناس مجتمعون إليه يعظهم، ويقول: " من تعزَّز
بالمعصية أوزته الله الذلة "

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: "خِلْتَانِ، فَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْكِرَامَةَ إِلَّا فِيهِمَا فَكَذَّبَهُ: إِكْرَامُكَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِكْرَامُكَ نَفْسَكَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ "

(٢٨) فقد أعز الأشياء

كان معروف الكرخي، يقول: " ما أنعم الله على عبده بنعمة فاستظهر بنعمته على معاصيه إلا ابتلاه الله بفقد أعز الأشياء عليه

عَنْ أَبِي حَزْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، قَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْبَسُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ بِالدَّنْبِ عَمَلَهُ مِائَةَ عَامٍ، وَإِنَّهُ لَيَرَى أَرْوَاجَهُ وَخَدَمَهُ "

ابن المبارك، يقول: " مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ خَافَ مِنَ الدَّنْبِ، وَمَنْ خَافَ مِنَ الدَّنْبِ هَرَبَ مِنَ الدَّنْبِ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ الدَّنْبِ نَجَا مِنَ الْحِسَابِ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: " إِنَّ لِلْمَوْتِ كَاسًا لَا يَقْوَى عَلَى تَجَرُّعِهِ إِلَّا خَائِفٌ، وَجَلَّ طَائِعٌ كَانَ يَتَوَقَّعُهُ، فَمَنْ كَانَ مُطِيعًا فَلَهُ الْحَيَاةُ وَالْكَرَامَةُ وَالنَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا نَزَلَ بَيْنَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الصَّاحَّةِ وَالطَّامَّةِ "

(٢٩) سوء الفهم

مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْوَرْدِ، يَقُولُ: " دُونَ الْفَهْمِ أَعْطِيَةٌ عَلَى الْقُلُوبِ، قَدْ حَجَبَ الْفَهْمَ الدُّنُوبُ وَالتَّكْبُرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فِ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ عَنِ السَّيِّئِ فِي قَوْلِهِ {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ} يقول: سأصرفهم عن أن يتفكروا في آياتي.

عن ابن جريج في قوله {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي} قال: عن خلق السموات والأرض والآيات التي فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها أو يعتبروا فيها.

عن سفيان بن عيينة في قوله {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} يقول: أنزع عنهم فهم القرآن.

(٣٠) إضاعة المال:

" عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «مَنْ إِضَاعَةَ الْمَالِ أَنْ يَزُرُقَكَ اللَّهُ حَلَالًا فَتُنْفِقَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» كان الحسن يقول: ابن آدم إنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك. ابن آدم: لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم، ولو عصوا الله وأطعت أنت لم تضرهم معصيتهم. ابن آدم: ذنبك ذنبك، وإنما هو لحمك ودمك وإن تكن الأخرى وإنما هي نار لا تطفأ وجسم لا يبلى ونفس لا تموت.